شرح

رسالة واجبنا نحو ما أمرنا الله به

للإمام الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله -

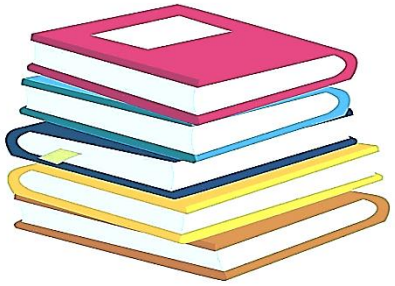

لفضيلة الشيخ /

أ.د: سُلَيْمَان الرحيلي

- حَفِظَهُ اللهُ -

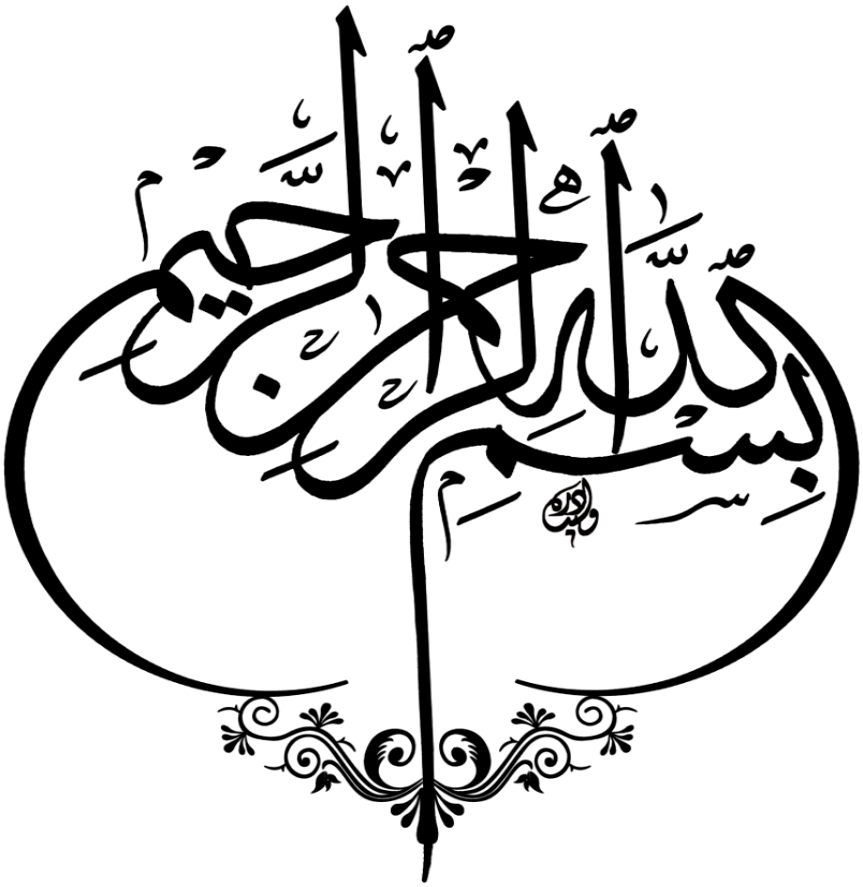
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْد؛

فمعاشر الفضلاء في هذا المجلس العلمي الذي نتقرب به إلىٰ الله ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونسأله أن يتقبله منا بين أيدينا رسالة قليلة الكلمات، كثيرة الثمار اليانعات، عظيمة الفوائد، كبيرة العوائد. رسالة نادرة كتبها الإمام الناصح المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ومن تمام نصحه رَحِمَهُ اللهُ أنه ما ترك شيئًا يهم الناس في دينهم ولا سيما فيما يتعلق بالتوحيد إلا كتب فيه رسالة لطيفة تعين علىٰ فهمه وعلىٰ العمل به.

ومن تلك الرسائل النافعة هذه الرسالة عن واجبنا تجاه ما أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ به. وذلك يا معاشر الفضلاء أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، ولا يشرع شيئًا إلا لحكمة، فالله خلقنا وأوجدنا من العدم، وربانا بالنعم، ما خلقنا باطلًا، ولا خلقنا لعبًا، ولا خلقنا عبثًا، وإنما خلقنا لحكمة عظيمة نسمو بها ويرتفع قدرنا ويعظم شأننا ونكرم بها، ألا وهي عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال ربنا سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يتركنا هملًا، بل أرسل لنا رسلًا، وأمرنا ونهانا. والواحد منا إذا جاءه الأمر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يجب عليه أن ينشرح صدره بذلك، وأن يعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ يحب ذلك المأمور ويرضاه، وهذه حكمة في المأمور ترجع إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يثبتها إلا أهل السنة وَالْجَمَاعَة. فإذا جاءنا الأمر في الكتاب أو ثبت الأمر في السُّنَّة فإنا نعتقد جازمين أن الله عَزَّ وَجَلَّ يحب ذلك، ويرضىٰ ذلك، ويحب وقوعه، ويرضىٰ عمن يفعله. وهذا يملأ قلب المؤمن انشراحًا وإقبالًا علىٰ طاعة الله.

فإنه إنما يفعل شيئًا يعلم أن ربه المنعم يحبه، وأن ربه المنعم يرضاه، فكيف لا يقبل عليه بكليته! كيف لا يقبل عليه بقلبه! كيف لا يخلص فيه لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! كما ينبغي عليه أن يعتقد

اعتقادًا جازمًا أن في هذا المأمور به الحكمة التامة والمصلحة العظيمة، فمصلحته في الدنيا والآخرة في العمل بهذا المأمور به، وبامتثال هذا الأمر. هذا نجزم به يقينًا؛ فما أمر الله بشيء إلا وفيه الحكمة وفيه المصلحة، وأيقنا أن مصلحتنا في العمل به. وهذه المصلحة في الدنيا والآخرة. في الدنيا: الأمن والحياة الطيبة؛ فلن تُنال الحياة الطيبة إلا بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. هنا توجد السعادة؛ السعادة هبة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهبها لمن يشاء من عباده، وإنما كتبها الله سُبْحَانَهُ لأهل التوحيد والعمل الصالح. فمن امتثل الأمر مخلصًا لله عَزَّ وَجَلَّ فهو موعود بالحياة الطيبة، وموعود بالفوز يوم القيامة. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١].

فالفوز العظيم بالزحزحة عن جهنم وبإدخال الجنة إنما هو بسبب التقوىٰ، ولن يدخل أحد الجنة بعمله، وإنما بفضل الله. لكن العمل الصالح سبب لنيل فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فإذا أيقن المؤمن بما ذكرناه فإنه يجب عليه تجاه ما أُمر به في الكتاب والسنة أمور سبعة يجب أن يحققها، جمعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في هذه الرسالة. ولم أرىٰ أحدًا جمعها في رسالة. هي منثورة في كتب أهل العلم، لكن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ جمعها وهذبها ورتبها. ثم ضرب لهذه الأمور السبعة مثالًا هو أعظم أمر أُمِرَ به الإنسان، وهو التوحيد، وأقبح شيء نُهي عنه الإنسان وهو الشِّرْك. وهو ما سنراه مسطورًا في هذه الرسالة ونعلق عليه إِنْ شَاءَ اللهُ، ولا يحتاج الأمر إلىٰ كثير كلام، وإنما يحتاج إلىٰ فهم وانقياد وعمل.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم اغفر لشيخنا ولوالديه ولوالدينا وللحاضرين والسامعين وجميع المُسْلِمِيْنَ يا رَبَّ العَالَمِينَ.

قَالَ شيخ الإسلام المجدد مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالته المسماة: واجبنا نحو ما أمرنا الله به:

(المتن)

إذا أمرَ الله العبدَ بأمرٍ وجبَ عليهِ فيهِ سبعُ مراتب:

(الشرح)

انتبه! إذا أمر الله العبد بأمر، أي أمر كان، سواء كان يتعلق بالتوحيد، يتعلق بالصلاة، يتعلق بِالزَّكَاةَ، يتعلق بالمعاملات، إذا ثبت الأمر فكان في الكتاب أو ثبت في السنة فإنه يجب علىٰ المكلف به سبع مراتب يجب أن يأتي بها.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

الأُولَىٰ: العِلْمُ بِهِ.

(الشرح)

المرتبة الأولىٰ أن يعلم به، وهذا العلم يا إخوة فرض عين علىٰ المكلف، فمن طُلب منه شيء علىٰ سبيل الوجوب ففرض عين عليه أن يتعلم ذلك الشيء حتىٰ يأتي به علىٰ الوجه المشروع. النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «طَلَبُ العِلمِ فَرِيضةٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ». قال العُلَمَاء: طلب العلم الذي هو فريضة هو ما لا يقوم الدين إلا به، وهو التوحيد، وتعلم ما فُرض علىٰ الإنسان وطُلب منه، فإنه يجب عليه أن يتعلمه، ويأثم لو لم يتعلمه.

ولو فرضنا يا إخوة أنه لم يتعلم لكن أتىٰ بالمأمور به كما أُمر به فإنه تبرأ ذمته من جهة المأمور به، لكنه يأثم لعدم تعلمه؛ لأنه ترك الواجب عليه، وهو التَّعَلُّم. وهذا في كل شيء، حتىٰ في التوحيد. التوحيد يجب علىٰ الإنسان أن يتعلمه، وأن يعرف دلائله، لكن لو فرضنا أن الإنسان لم يتعلم لكنه وحد وأتىٰ بالتوحيد ولم يخل به فإنه يصح توحيده، ويصح اعتقاده، لكنه يأثم لأنه ترك واجبًا عليه وهو التَّعَلُّم. فهذا أمر من الأهمية بمكان.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

الثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ.

(الشرح)

أن يحبه بقلبه وأن ينشرح صدره له. لم؟ لأن الله أمر به، ولأن الله يحبه، فيجب عليه أن يحب ما يحبه الله، فواجب عليه أن يحبه. فلو فرضنا أنه أداه علىٰ الوجه المشروع لكن لم يحب ذلك العمل فإنه يأثم لتركه الواجب عليه، وإن صح العمل منه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

الثَّالِثَةُ: العِزْمُ عَلَىٰ الفِعْلِ.

(الشرح)

فإذا عرفه وأحبه لزمه ووجب عليه أن يعزم علىٰ فعله، إن كان الوقت وقت الفعل فإنه يجب عليه أن يعزم علىٰ فعله فورًا. وإن كان وقت الفعل متراخيًا فإنه يجب عليه أن يعزم علىٰ فعله في وقته. يعني مثلًا يا إخوة؛ صبي بلغ هذا الشهر فوجبت عليه التكاليف، ومما يجب عليه الحج إذا كان مستطيعًا، يجب عليه الآن أن يعزم علىٰ فعله فور استطاعته. وهذا واجب علىٰ المكلف نحو ما أُمر به من الأوامر.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

الرَّابِعَةُ: العَمَلُ.

(الشرح)

العمل يترتب علىٰ العزم، العزم سلم العمل، ومقدمة العمل، وباب العمل. فإذا عزم فإنه يجب عليه أن يعمل به في وقته. والكلام هنا عن الأمر الواجب، فإنه يجب عليه أن يعمل به.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

الخَامِسَةُ: كَوْنُهُ يَقَعُ عَلَىٰ المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوابًا.

(الشرح)

هذه المرتبة الخامسة أن يعمل به كما شُرع. والمشروع له أن يأتي بالعمل خالصًا لله، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابْتغي به وجهه. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وأن يكون العمل مشروعًا؛ لأن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بما شرع. العبادة ليست مبنية علىٰ العواطف، وليست مبنية علىٰ التجارب كما يقول بعضهم، يقول نحن نعبد الله بالتجارب. العبادة حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بما شرع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فمن عمل العبادة مرائيًا فقد أخل بالواجب عليه، ولا يصح منه العمل. ومن أتىٰ بعبادة بأصلها أو وصفها لم ترد في النصوص فإن الله لا يقبلها منه. «مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ»، «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ». فيردها الله عَزَّ وَجَلَّ عليه مع ما يبوء به من الإثم والخسران. فلا بد من أن تكون العبادة صالحة. ولا تكون صالحة إلا إذا اجتمع فيها الشرطان: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

السَّادِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُه.

(الشرح)

السادسة الحذر من فعل ما يحبطه؛ لأن العمل الصالح قد يوجد ما يبطله أثناء فعله، فيحذر من ذلك. وقد يلحق العمل الصالح ما يذهب أجره، كمن يصلي ويصوم ويزكي لكنه يظلم الناس، ويضرب الناس، ويسب الناس، ويأكل أموال الناس، فإنه يوم القيامة يكون مفلسًا لأنه يُقتص منه يوم القيامة وليس ثمة إلا الحسنات والسيئات، فيُؤخذ من حسناته لخصومه، فإذا فنيت حسناته ولما يقضي ما عليه فإنه يؤخذ من سيئاتهم فتُطرح عليه. إذن انتبهوا يا إخوة! الحذر من فعل ما يحبطه؛ يجب علىٰ الإنسان أن يحذر من فعل ما يحبط عمله يشمل أمرين:

الأمر الْأَوَّلُ: فعل ما يبطل العمل أثناء أدائه.

الأمر الثَّانِي: إتباع العمل بما يذهب أجره من ظلم الناس ونحو ذلك.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

(الشرح)

فإنه يجب علىٰ المسلم أن يثبت ويستقيم علىٰ دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وكل هذا داخل في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ يعني عَلِمنا ووفقنا وثبتنا. علمنا فإنه لن يسلك الصراط إلا من علم الصراط، ووفقنا فليس كل من علم وُفِقَ، كم من معممين وأصحاب شهادات عليا في الشريعة الإسلامية لا يعملون! فيكون العلم حجة عليهم. ليس كل من علم وُفِق، فعندما نقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] يدخل في ذلك: يعني وفقنا للعمل، وثبتنا. ولذلك بعض الناس يقول لماذا نقرأ الفاتحة في كل ركعة وندعو بهذا الدعاء ونحن نصلي أصلًا اهتدينا؟ نقول لأن الهداية تشمل هذه الأمور الثلاثة: **أن يعلمنا الصراط المستقيم، وأن يوفقنا للعمل بذلك، وأن يثبتنا علىٰ ذلك**. ثم الشيخ يشرح هذه المراتب بالأمثلة.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

إِذَا عَرَفَ الإِنْسَانُ: أَنَّ الله أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ، أَوْ عَرَفَ: أَنَّ الله أَحَلَّ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا؛ أَوْ عَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ أَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَحَلَّ لِوَلِيِّهِ أَنْ يَأْكُلَ بِالمعْرُوفِ إِن كَانَ فَقِيراً، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ المأْمُورَ بِهِ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَعْرِفَهُ، وَيَعْلَمَ المنْهِيَّ عَنْهُ، وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَعْرِفَهُ.

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالمسْأَلَةِ الأُولَىٰ، وَهِيَ: مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالشِّرْكِ.

(الشرح)

يعني في كل أمر ونهي يجب علىٰ الإنسان أن يتعلم ما يتعلق بالأمر وما يتعلق بِالنَّهْي، إذا علمت أن الله أمرك أمر إيجاب أو نهاك نهي تحريم فوجب عليك أن تتعلم، وتأثم إن لم تفعل.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ، وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ

(الشرح)

أي في الجملة، وهذا مقدار يشترك فيه عموم الناس، أن التوحيد حق طيب. ما أحد يقول التوحيد شر، أو التوحيد باطل، وأن الشرك باطل وشر؛ من حيث الجملة. لكنهم لا يعرفون تفاصيل ذلك، فيفعلون الشرك ويظنونه توحيدًا، ويتركون التوحيد ويظنون أنهم يرضون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ، وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ، وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَسْأَلْ

(الشرح)

ولم يسأل فلم يعرف التوحيد فلم يعمل به، بل قد يعمل بضده ويظن أنه توحيد. كثير من الذين يتعلقون بالقبور يظن أنه بهذا يوحد ويتقرب إلىٰ الله، وهو يشرك بالله شركًا أكبر يخرج به من ملة الإسلام. وسبب ذلك أنه ما تعلم، ما عرف التوحيد ليعمل به، وما عرف الشرك ليبرأ منه. ولذلك تجد أن بعض الذين يعكفون علىٰ القبور تجده يردد: "أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يا مولانا المدد المدد"، ما عرف التوحيد، ما تعلم التوحيد.

(المتن)

وَعَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ الرِّبَا، وَبَاعَ وَاشْتَرَىٰ وَلَمْ يَسْأَلْ

(الشرح)

عرف أن الله حرم الرِّبَا، بل قد تجده يقول: أعوذ بالله من الرِّبَا؛ وهو منغمس في الرِّبَا، معاملاته كلها ربا؛ لأنه لم يتعلم، ولو تعلم لانزجر. أذكر يا إخوة أني أقمت دورة في ضوابط الربا لمدة ثلاثة أيام، فجاءني رجل في اليوم الثالث جلس بجواري وأنا أصلي العصر قبل أن نقوم للدرس وسلم

علي وقال يا شيخ أنا تاجر عندي من الأموال ما لا أحصيه، ما أدري قدرها كم في البنوك، وكنت منغمسًا في الرِّبَا، ولا أدري أنه ربا، أعرف أن الربا حرام حرمة شنيعة لكن ما أعرف الرِّبَا. يقول فمررت بالمسجد أول يوم في الدورة صليت العصر لا أقصد الدورة، فلما قرأت عنوان الدورة جذبني فاستمعت، فجلست في الدورة من بعد العصر إلىٰ بعد العشاء. ثم في اليوم الثاني كذلك، وجلس معي اليوم الثالث بعد العصر الآن يحدثني. قال أبشرك أني ذهبت إلىٰ البنوك وطلبت إيقاف جميع المعاملات الربوية المتعلقة بأمواله. يقول أنا كنت أعرف أن الربا حرام وحرب لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن ما تعلمت تفاصيل الرِّبَا، فالذي ما يتعلم حتىٰ مع علمه بقبح الشيء يقع فيه وحتىٰ مع علمه بحسن الشيء لا يمتثله ولا يفعله.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وَعَرَفَ تَحْرَيمَ أَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَجَوازَ الأَكْلِ بِالمعْرُوفِ؛ وَيتَوَلَّىٰ مَالَ اليَتِيمِ وَلَم يَسْأَلْ.

(الشرح)

ويقع في أنه يأكل مال اليتيم، ويأكل في بطنه نارًا لأنه لم يسأل الواجب عليه أن يسأل. بل قلت لكم يا إخوة لو فرضنا أنه ما وقع في الحرام لكن لم يسأل ولم يتعلم فإنه يأثم؛ لكونه ترك الواجب عليه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ مَا أَنْزَلَ الله

وَكُفْرُ مَنْ كَرِهَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]

(الشرح)

المرتبة الثانية.. ونحن نتكلم هنا عن التوحيد وَالشِّرْك، محبة ما أنزل الله، ما أمر الله به من التوحيد، وفصله الله من التوحيد. بعض الناس -وَالعِيَاذُ باللهِ- إذا سمع الدرس عن التوحيد انقبض

قلبه، ربما قال ظننا أنه سيتكلم بما ينفعنا. وربما قام ينفض ثوبه، ما عندهم إلا التوحيد، ما يتكلمون إلا عن التوحيد، مع أن أهل العلم يتكلمون عن التوحيد وغيره، لكن هو يكره هٰذَا. فيجب علىٰ المؤمن أن يحب التوحيد بتفصيله في الكتاب وَالسُّنَّة، وأن يكره ما يضاد التوحيد، ويبغض ما ضاد التوحيد، وأن يعادي من نابذ التوحيد. من نابذ التوحيد ليس وليًا لنا، بل هو عدو لنا نكرهه ونبغضه ونتقرب إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ببغضه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يُحِبَّ الرَّسُولَ ﷺ، بَلْ أَبْغَضَهُ، وَأَبْغَضَ مَا جَاءَ بِهِ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ.

(الشرح)

وبغض الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بغض ما جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بغض بعض ما جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع العلم بأن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء به كفرٌ أكبر يخرج من الملة. نعوذ بالله من الخذلان.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: العَزْمُ علىٰ الفِعْل

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: عَرَفَ وَأَحَبَّ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْزِمْ؛ خَوْفًا مِنْ تَغَيُّرِ دُنْيَاهُ.

(الشرح)

المرتبة الثالثة عقد القلب الجازم علىٰ العمل، هذا هو العزم يا إخوة؛ لأن الذي يقع في النفس أو في القلب قد يكون همًا وقد يكون عزمًا. والهم هو قصد الفعل مع شيء من التراخي وَالتَّرَدُّدُ. أما العزم فهو عقد القلب الجازم علىٰ العمل. وكثير من الناس يعلم ما أنزله الله، ويحبه، ما يبغضه، لكن لا يعزم علىٰ فعله لأنه يعرف أنه إذا فعل يعاديه الناس. بعض الناس ما يظهر التوحيد، ولا يعمل بالتوحيد في بعض البلدان، ويشارك غلاة الصوفية ما يفعلون، مع أنه يعلم، ويحب ما أنزله

الله! لكن حتىٰ لا يفقد منصبه، حتىٰ لا يفقد جماهيريته، حتىٰ لا يفقد المال الذي يأخذه؛ لا يعزم علىٰ الفعل. فيترك التوحيد ولا يظهره خوفًا علىٰ الدنيا وطمعًا فيما في أيدي الناس.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: العَمَلُ

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: إِذَا عَزَمَ أَوْ عَمِلَ وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ مَنْ يُعَظِّمُهُ مِنَ شُيُوخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ تَرَكَ العَمَلَ.

(الشرح)

بعض الناس يعلم ويحب ويعزم علىٰ العمل، بل يبدأ بالعمل. لكنه إذا بدأ بالعمل قام عليه من يعظمه من الناس فأنكر عليه، وقال صرت وهابي، بعت دينك للسعودية، أعطوك شوال مال. بعض الناس يعلم وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله ويحب ذلك ويعزم علىٰ العمل بذلك لكن يخاف من أصحابه، إذا بدأ يعمل ويظهر عليه الالتزام الشرعي بهذا يعيبون عليه، يقولون صرت مدخلي، صرت جامي. والله جهلة سُبْحَانَ اللهِ، والمداخلة قبيلة عريقة، أهل علم وخير.

قال صرت مدخلي، صرت جامي، صرت من أهل بغلة السلطان، من أهل غلاة الطاعة. ترك هٰذَا. فهذا خطر عظيم علىٰ الإنسان. وقد يكون هذا حتىٰ في التوحيد؛ بعض الناس يأتي إلىٰ السعودية ويتعلم التوحيد فعلًا، ويحب ذلك، ويعزم علىٰ العمل، ويعمل به ما دام في السعودية، فإذا رجع إلىٰ بلاده أقام عليه من يعظمهم من الشيوخ والأصدقاء انتكس وترك العمل.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ الخَامِسَةُ

أَنَّ كَثِيراً مِمَّنْ عَمِلَ، لَا يَقَعُ خَالِصـًا، فَإِنْ وَقَعَ خَالِصـًا، لَمْ يَقَعْ صَوَابـًا.

(الشرح)

أن كثيرًا ممن عمل لا يقع عمله خالصًا، بل إما أن يوجد في عمله رياء، والرياء يا إخوة قد يحبط العمل، وقد ينقص الأجر. وقد لا يضر العمل إذا طرأ علىٰ العمل في أثنائه ودفعه الإنسان. يعني يا إخوة إذا بدأ الإنسان العمل المتصل مرائيًا فإنه لا يصح منه حتىٰ يخرج منه ويبدأه مخلصًا. إنسان في صلاة العشاء كبر وهو يرائي أحدًا، يريد أن يمدحه، يريد أن يَخطِب من رجل فرأىٰ الرجل بجواره، فعند التكبير أراد أن يظهر له أن يصلي بخشوع من أجل أن يزوجه، من أجل أن يمدحه؛ فهنا لا تصح منه الصلاة إلا إذا خرج منها وابتدأ مخلصًا من جديد، وإلا فالصلاة باطلة. كذلك علىٰ التحقيق من أقوال أهل العلم لو أن الإنسان بدأ مخلصًا ثم في أثناء الصلاة راء ثم استمر مرائيًا إلىٰ أن سلم فإن التحقيق من أقوال أهل العلم أن هذا يبطل الصلاة، ولا تبرأ ذمته بصلاته هٰذِه، ويجب أن يأتي بها مخلصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. أما إذا طرأ الرياء في أثناء العمل ثم دفعه في أثناء العمل ويعبر عنها العلماء بأن يبتدئ مخلصًا وينتهي مخلصًا فهذا لا يحبط العمل؛ لأنه دفعه وتاب منه ورجع إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وبعض الناس قد يكون مخلصًا غاية الإخلاص لله لكنه يفعل البدع، إما بالأصل وإما بالوصف، فهذا أيضًا لا يُقبل عمله ويُردُّ عليه مع ما يلحقُه من الإثم والخسران.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ الصَّالِحِينَ يَخَافُونَ مِنْ حُبُوطِ العَمَلِ

(الشرح)

وهذا الخوف يُكسِبهم حذرًا من المُبطِلات المُقارِنة واللاحقة، فهم يخافون دائمًا مما يُحبِط عملهم، فيحذرون حذرًا شديدًا، ويراقبون أنفسهم خشية أن يحبط عملهم وهم لا يشعرون، ويسألون الله أن يجنبهم ما يبطل أعمالهم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ويسألون الله قبول العمل، فهم يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، يصلي الواحد منهم وقلبه وجل أن لا يُتقبل منه. يصوم وقلبه وجل أن لا يتقبل الله منه، فيسأل الله أن يتقبل منه، ويخاف أن يُرد عليه العمل فلا يُعجَبُ بعمله ولا يغتر بعمله. ولذلك يقول العُلَمَاء: إذا عملت العمل فأحسن الظن بربك وأسئ الظن بنفسك، واسأل الله القبول. واسأل الله أن يقبل عملك، وأسئ الظن بنفسك، فكن حذرًا مما يحبط العمل. أيضًا أن تحذر أن تلحق العمل بما يذهب ثوابه كما بيناه سابقًا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] وَهَذَا مِنْ أَقَلِّ الأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا.

(الشرح)

ما هو الَّذِي من أقل الأشياء في زماننا؟ هو الخوف من حبوط العمل. كثير من الناس يغتر بعمله. بل سمعت مرة في الحج من يقول: فعلنا الذي علينا والباقي علىٰ الله. لا والله قصرنا! ومهما فعلنا فنحن مقصرون، ونخاف أن لا يُقبل العمل منا. فإن الله إنما يتقبل من المتقين. ونخاف أن تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر. ونسأل الله القبول. لا نغتر بأعمالنا، ولا نيأس من قبول الله لأعمالنا. بعض الناس أيضًا يأتي في الجانب المقابل ويقول أنا كيف يتقبل الله مني؟ أنا ما يتقبل الله مني، لا! اعمل العمل كما شرع الله واسأل الله أن يتقبل منك. وخف من نفسك أن لا يُتقبل منك العمل.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

المرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَىٰ الحَقِّ وَالخَوْفُ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ

(الشرح)

فإن الإنسان لا تُؤمَن عليه الفتنة ما دام حيًا. والشيطان يطلبه، يريد أن يغويه ما دامت روحه في جسده. وقد ذُكر أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في مرض موته غُشِيَ عليه، وكان ابنه عبد الله يلقنه

الشهادة، فكان الإمام أحمد يردد: "بعدُ بعدُ، بعدُ بعدُ"، فلما أفاق قال له ابنه عبد الله يا أبتي إنك كنت تقول (بعدُ بعدُ)، قال: "إن الشيطان تمثل لي عند هذا الباب، وقال: فتني يا أحمد" ثبتَّ علىٰ الهدىٰ وما استطعت أن أغويك، لا أن أغويك في الفتنة ولا أن أغريك بالمال. "فكنت أقول له: بعدُ بعدُ، لا أأمن الفتنة، لا زالت الروح في الجسد".

فالإنسان ما دامت روحه في جسده لا يأمن الفتنة علىٰ نفسه. ويخاف من سوء الخاتمة، يخاف أن يكون ممن يعملون بعمل أهل الجنة حتىٰ إذا لم يبق بينهم وبينها إلا ذراع عملوا بعمل أهل النار فدخلوا النَّار.

فدائمًا الإنسان يخاف من سوء الخاتمة. ومن الخوف من سوء الخاتمة أن الإنسان إذا تزخرفت له المعصية يذكر نفسه بأنه قد يُقبض علىٰ هذه المعصية، وهذا من سوء الخاتمة -وَالعِيَاذُ باللهِ-؛ لأن من مات بُعث علىٰ ما مات عليه. فقد تتزخرف المعصية للإنسان وقد يكون خاليًا ولا يراه أحد من الناس، وتكون سهلة عليه، فمما يزجره أن يخاف من سوء الخاتمة، وأنه ربما أقدم علىٰ هذه المعصية فقُبِضَ وهو عليها، فيلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو عليها، فيُبعث علىٰ ما مات عليه.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

لِقَوْلِهِ ﷺ: إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة، ويختم له بعمل أهل النار، وَهَذِهِ أَيْضًا: مِنْ أَعْظَمِ مَا يَخَافُ مِنْهُ الصَّالِحُونَ، وَهِيَ قَلِيلٌ فِي زَمَانِنَا.

(الشرح)

أي الخوف من سوء الخاتمة؛ الخوف من سوء الخاتمة قليل في زمن الغفلة. وأذكر لكم قاعدة يا إخوة: العمل في وقت الغفلة أكثر أجرًا. يعني كون الإنسان يأتي بشيء يقل العمل به بين الناس هذا أعظم لأجره. ولذلك كان بعض مشايخنا يوصوننا ويقولون إذا رأيت غفلة الناس فاغتنم. إذا كنت في مكان غفل الناس عن ذكر الله ورأيتهم في لهوهم وكذا.. فاغتنم وأقبل علىٰ الله، وأقبل علىٰ

ذكر الله. حتىٰ قال لي أحد مشايخي مرة: يا سليمان إذا استطعت أن تعمل عملًا حيث تظن أنه لا يُعمَل ذلك العمل فاعمل. حتىٰ أني مرةً أجريت الأشعة هذه التي يدخل الإنسان فيها في برميل هذه فأوصاني شيخي وقال أكثر من ذكر الله، ربما أنه ما يذكر الله في هذا المكان إلا قليل.

ومما حدّثني به الشيخ سعد الشثري حَفِظَهُ اللهُ عن والده الشيخ ناصر رَحِمَهُ اللهُ يقول: إذا سافرنا خارج المملكة يضاعف الوالد ورده من القُرْآن، إذا كان يختم كل يوم ثلاثة أجزاء فإنه في السفر يختم ستة أجزاء. قال فقلت له يا أبي الناس تسافر وتتفسح وتتوسع، وأنت إذا سافرت تزيد في عبادتك ووردك.

فقال يا بني إنها أماكن غفلة، فأحبُّ أن أذكر الله فيها، كما أني أخاف من سوء الخاتمة. ما أعظم هذا إذا وقر في قلب المؤمن! يجعله يقبل علىٰ الله حتىٰ في وقت الغفلات، ويكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فَالتَّفَكُّرُ فِي حَالِ الَّذِي تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ، يِدُلُّكَ عَلَىٰ شَيءٍ كَثِيرٍ تَجْهَلُهُ؛ واللهُ أَعْلَمُ.

(الشرح)

إذا تفكرت في أحوال الناس مع ما أمر الله به وجدتَ الكثير من الخلل؛ فالواجب علينا يا إخوة أن ننتبه لما قدّمت به لهذه الرسالة، وأن ننتبه لهذه المراتب السبعة، وهذه المراتب السبعة كما قلت لكم إذا كان الأمر أمر إيجاب فهي واجبة، وإذا كان الأمر أمر استحباب؛ فهي مستحبة إلا ما يتعلق بأن يكون العمل خالصًا صوابًا؛ فإنه لا بد منه في كل عمل سواء كان واجبًا أو مستحبًا.

هذه الرسالة العظيمة النافعة في كل ما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به وائت بضدها في كل ما نهىٰ الله عنه من جهة العلم بها والمحبة. يعني إذا جاء النهي فأبغض المنهي عنه؛ لأن الله يبغضه، وإذا كان من

المكروهات فالله يكرهه. واعزم علىٰ الترك، واترك، واحرص علىٰ أن يكون عملك دائمًا خالصًا صوابًا.

واحذر من فعل ما يحبط امتثالك بترك المنهي عنه، واثبت علىٰ ذلك واستقم كما أُمرت، واعلم أن الدنيا محل العمل، وأن أحب العمل إلىٰ الله ما داوم عليه صاحبه. إن كان العمل واجبًا فالمداومة عليه واجبة. وإن كان العمل مستحبًا فالمداومة عليه مستحبة. احرص علىٰ ذلك حتىٰ تلقىٰ الله وأنت علىٰ ذلك.

بهذا نكون ختمنا التعليق علىٰ هذه الرسالة النادرة الجامعة الماتعة اللطيفة المختصرة، التي قل الكلام فيها وعظم نفعها.

سؤال: بماذا تنصحون الشباب المستقيم في هذا الزمن؟

الجواب: أولًا؛ اعلم أن الاستقامة اصطفاء، فكون الله عَزَّ وَجَلَّ يصطفيك من بين الناس لتكون مستقيمًا فهذه نعمة عظيمة احمد الله عليها، واعلم أن ربك يعجب من الشاب ليست له صبوة، يستقيم علىٰ دين الله. واعلم أن هذا يكسبك أعلىٰ المنازل.

فالشاب الذي نشأ علىٰ طاعة الله واستقام علىٰ طاعة الله وثبت علىٰ طاعة الله مع قلة المعين يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وله بِإِذْنِ اللهِ آجر خمسين من الصَّحَابَة؛ لأنه في أيام الصبر، ولا سيما إذا كان في مرحلة الشباب. فهذه غنائم عظيمة ينبغي عليك أن تحرص عليها، وأن لا تفرط فيها. والاستقامة علىٰ دين الله عَزَّ وَجَلَّ ليست خيارًا وإنما فرض علينا، ومن وُفِقَ لها فليصبر وليصابر وليرابط وليتق الله، فإنه بذلك يفوز ويفلح بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

سؤال: ما واجبنا نحو ما نراه ونسمعه من حملةٍ علىٰ العقيدة الصحيحة من كل جهة؟

الجواب: لا شك أيها الإخوة أنا نرىٰ حملة منظمة علىٰ أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وعلىٰ أصول أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وعلىٰ عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة؛ يسعىٰ أهل الباطل لإسقاط ثقة العوام بعلماء أهل السنة وَالْجَمَاعَة، فيكذبون عليهم ويقولونهم ما لم يقولوا، كزعمهم أن أهل السنة والجماعة يرون السمع والطاعة لولي الأمر المسلم مُطْلَقًا من غير قيد. وهذا لا يقول به أحد من

أهل السنة وَالْجَمَاعَة. ويستعملون في هذا أيضًا الذكاء الصناعي، ولا يقصدون من ذلك إلا أن يشوهوا المشايخ الذين عُرفوا بتقرير السنة والوقوف في وجه أهل البدع. وواجبنا تجاه هذا الأمر أن نذب عن أعراض علمائنا ومشايخنا، وأن ننشر فضلهم، وأن نكشف الشائعات والحقائق، ونبين الحقائق. وهذا في الحقيقة مما يجب علىٰ طلاب العلم كلٌّ بحسب استطاعته وقدرته.

وأن لا يُخلىٰ هذا الفضاء الإلكتروني لأهل الباطل، يكذبون فيه علىٰ أهل السنة وَالْجَمَاعَة، ويزورون عليهم الكلام. كما أن هناك حملة علىٰ أصول أهل السنة والجماعة لتقبيحها عند العوام. والواجب علينا تجاه ذلك أن نبين أصول أهل السنة وندلل عليها، ونوضحها ونبين مراميها، ولو بنشر كلام العُلَمَاء، ما يلزم أن تتكلم أنت.

تستطيع أن تأتي بمقطع لعالم من علماء أهل السنة يوضح ذلك، تنشره. كما أن هناك حملة منظمة علىٰ العقيدة السلفية، والزعم أن أغلب الناس علىٰ العقيدة الأشعرية، وأن أكثر العلماء الذين نفعوا الإسلام إنما هم من الأشاعرة ونحو ذلك. والواجب علينا أن نبين أن العقيدة السلفية موافقة للكتاب مطابقة لِلسُّنَّةِ، أجمع عليها الصَّحَابَة، موافقة للغة، موافِقة للفطرة، وأن ننشر ذلك، وأن ننشر ما يدل عليه، ونبين أن هذه العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة فرق ناشئة مبتدعة.

وذلك أنا دائمًا أقول كُلَّ ينقطع نسبه دون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أهل السنة؛ فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل أصحاب الفرق كلهم والله لا بد أن ينتهوا إلىٰ رجل دون الصَّحَابَة، لا بد يقينًا. الأشاعرة أقصىٰ ما يصلون إليه أنهم ينتسبون إلىٰ أبو الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري مات بريئًا من عقيدتهم لا يصل إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسند المتصل الواضح البين إلا أهل السنة وَالْجَمَاعَة. نبين هذا ونوضحه ونقرره ونؤكده ونقيم الدلائل عليه.

سؤال: هل الكفر لمن كره الأمر يختص بالتوحيد أم يشمل غيره مما أنزله الله ككره التعدد أو ميراث النساء؟

الجواب: الكره نوعان: كره اعتقادي، والنوع الثاني كره طبعي. الكلام هنا عن الكره الاعتقادي، وتقبيح الأمر، والقول إنه ظلم وليس من العدل، مع ثبوت أن الله أمر به، فهذا كفر. أما الكره الطبعي كون المرأة ما تحب أن زوجها يتزوج عليها فهذا لا تؤاخذ به المرأة.

ولا ينبغي للزوج أن يستفز المرأة. حتىٰ تخرج شيئًا من طبيعتها وغيرتها. فبعض الناس يعني دائمًا يستفز المرأة وهو لن يتزوج، ما هو متزوج، لكن كل ما جلس معها قال الحَمْدُ للهِ الله أحل لنا أربع. طيب الله أحل لكم أربع ما هذا مناسبته؟ إذا عزمت علىٰ العمل شيء آخر.

فالشاهد يا إخوة أن الكره الطبعي هذا ليس هو الذي نتكلم عنه، وإنما الكره هو الكره الاعتقادي لهذا الذي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به، فمن أبغض ما أمر الله اعتقادًا أو ظنًا أنه يخالف العدل أو يخالف الحكمة فهذا الذي يقول فيه العلماء إنه كفر.

سؤال: هل المنهي يحتاج إلىٰ العزم علىٰ الترك أم المنهي يختلف عن المأمور؟

الجواب: المنهي يحتاج إلىٰ العزم العام علىٰ الترك. في فرق يا إخوة بين العزم الخاص والعزم العام. تبرأ الذمة بالعزم العام علىٰ الترك، لكن لا يثاب الإنسان إلا بالعزم الخاص علىٰ الترك. إذن في فرق بين براءة الذمة وبين الثواب علىٰ الترك. براءة الذمة بالترك تحصل بالعزم العام علىٰ الترك، فإذا عزم الإنسان عزمًا عامًا علىٰ الترك ثم لم يفعل برئت ذمته، لكن حتىٰ يثاب علىٰ هذا الترك بعينه فإنه لَا بُدَّ من عزم خاص علىٰ الترك، فلا ثواب إلا بنية خاصة.

سؤال: أنا طالب علم وأحب العلم وأهله وكانت لدي همة في بداية الطلب فهل من نصيحة في ذلك؟

الجواب: يجب أن نعلم يا إخوة أن العزائم من طبعها أن تضعف، وأن تفتر، وأن تقوىٰ، فلا ينبغي أن يفت في عضدنا أن الإنسان يصيبه شيء من الفتور أحيانًا، أو شيء من ضعف الهمة، هذا من طبع الهمم، لكن ينبغي أن نجاهد. يا إخوة! قاعدة: كل طاعة لن تنال حلاوتها حتىٰ تجاهد نفسك فيها. لَا بُدَّ من الابتلاء، لَا بُدَّ من الصبر. حتىٰ الصلاة؛ الصلاة وهي الصلة بين العبد وربه، لن تتذوق حلاوة الصلاة وترتاح بالصلاة حتىٰ تجاهد نفسك، ربما يستمر الجهاد سنين، لكن إن

صدقت الله صدقك الله. فإذا ابتليت حتىٰ تبين صدقك ستجد حلاوة الإيمان. وحلاوة الإيمان أعظم من حلاوة العسل، لكنها غالية لا تنال إلا بمجاهدة. فأنت يا طالب العلم في طلب العلم والهمة تحتاج أن تجاهد نفسك، كما تحتاج أن تتخذ الأسباب المعينة علىٰ علو الهمة، ومن ذلك أن تصاحب من هو أعلىٰ همة منك، صاحب من يرفعك لا من يخفضك.

احرص علىٰ أن تكون في رفقة تزيدك همة، إذا رأوا منك فتورًا عن طلب العلم شجعوك علىٰ طلب العلم، إذا رأوا منك ضعفًا نبهوك، إذا رأوا منك غفلة ذكروك. أما أن تتخذ صاحب همة أضعف من همتك فإنه في الحقيقة يضعف همتك، إذا رآك تذهب كل يوم قال والله جميل لكن الدوام صعب.. وواجبات الكلية.. وواجبات الأسرة.. يعني في الإجازة؛ فتبدأ أنت تتكاسل، وهذا من أهم ما يتخذه طالب العلم لرفع همته، أن يتخذ رفيقًا ذا همة أعلىٰ من همته.

كذلك أن يذكر نفسه بأن المشروع له أن يغتنم وقت نشاطه، فيغتنم شبابه قبل كبره، ويغتنم عافيته وصحته قبل مرضه.. وهكذا. ومن أعظم الأمور يا إخوة الدعاء في جوف الليل الآخر. اضطرح بين يدي الله؛ يا ربي أنت أعلم بحالي، يا ربي ارزقني الإخلاص، يا ربي قوي همتي، يا ربي اجعلني مستقيمًا علىٰ دينك. اضطرح بين يدي الله في جوف الليل الآخر، وسل الله عَزَّ وَجَلَّ والله ستجد العون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أيضًا نبهت مرارًا يا إخوة علىٰ بركة القُرْآن؛ قراءة طالب العلم للقرآن توجد بركة في نفسه، وفي قلبه، وفي وقته. والله إذا اتخذ طالب العلم له وردًا من القرآن في كل يوم لا يفارقه سيجد فرقًا في أيامه، ويجد أنه ينجز في يومه هذا ما لا ينجزه في بقية الأيام، وهذا من أعظم ما ينبغي أن يتنبه له طالب العلم.

سؤال: ما حكم تخصيص يوم الجمعة لزيارة المقابر مع تصوير نفسه وهو يدعي للأموات؟

الجواب: أما زيارة القبور فمشروعة للحكم الشرعية:

أولًا: العمل بِالسُّنَّةِ؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يزور القبور ويدعو لأصحابها.

ثانيًا: تذكر الآخرة.

ثالثًا: الإحسان إلىٰ الموتىٰ بالسلام عليهم والدعاء لهم.

هذه الحكم الشرعية الثلاث لزيارة القبور. ولكن لا يجوز تخصيص زيارة القبور بيوم لذات اليوم. مثل من يخصصون زيارة القبور بيوم العيد ويقولون أهل المقابر أولىٰ بالعيد من الأحياء؛ هذا بدعة. بعض الناس يتجمهرون بعد صلاة العيد في المقابر يقولون نعيد علىٰ الأموات، هذا بدعة. تخصيص زيارة القبور بيوم الجمعة لأنه يوم الجمعة هذا بدعة.

أما كون الإنسان مثلًا ما يتسنىٰ له أن يزور قبر أبيه إلا يوم الجمعة أو ما يجد فرصة إلا يوم الجمعة ولا يلتزم هذا ويسلم علىٰ أبيه ويدعو له هذا ما في بأس. أما أن يخصصه بيوم الجمعة لكونه يوم الجمعة، هذا بدعة، هذا من البدعة الإضافية.

ومن السوء العظيم في زماننا تصوير الإنسان نفسه أثناء العبادة، فبعض الناس وهو يطوف حول الكعبة ليس همه الطواف وإنما همه التصوير، ينقل نفسه مباشرة. بل رأيت بدعة جديدة، رأيت من ينادي وهو يصور يقول يا أبي يا أبي نحن الآن نطوف حول الكعبة طف معنا طف معنا وأبوه هناك في بلاده. بل رأيت عجبًا! رأيت من يصلي في المسجد الحرام وهو ماسك الجوال، والله يصلي خلف الإمام وهو ماسك الجوال! بل رأيت من يتظاهر بالعبادة ليتصور، يأتي يعطي الجوال لشخص يقول لحظة لحظة.. وكل هذا يخالف الشرع.

والأصل في العبادة أن يستتر بها الإنسان حتىٰ ما يُظَهر منها إنما يظهره علىٰ الوجه المشروع فَقَطْ، إذا كان يذهب لصلاة الجماعة ما يمر علىٰ جيرانه طا طا طا طا أني يذهب.. يعني للصلاة في المسجد. نعم يظهرها، هي مشروع أن يظهرها، لكن في حدود المشروع. بلاء يا إخوة هذا التصوير الآن.

بعض الناس الآن يصور كل شيء، يصور أكله في بيته، وأثاث بيته، ويصور أولاده، وإذا قلت لا قَالَ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١]؛ هذا استدلال بالقرآن في غير محله، اتق الله في بيتك وأهلك وذريتك. وهذا قد يكون من أسباب الإصابة بالعين ومن أسباب ذهاب البركة من

البيت. بل بعض الناس يصور بره بأمه وأنه يقبل يديها ويقبل رأسها وينشر هذا للناس! كل هذا يا إخوة من البلاء في هذا الزمان، فالواجب الحذر من هٰذَا.

سؤال: ...

الجواب: إذا دخلت المقبرة ورأيت المقابر فسلم سلامًا عامًا: السلام عليكم أهل القبور. ثم خص أباك بالسلام، قل: السلام يا أبي، السلام يا أبتاه. يا إخوة السلام لا يكون من خارج المقبرة وإنما يكون السلام إذا رأيت القبور، إذا رأيت القبور تسلم. فإذا مررت بالقبور ورأيتها تسلم، حتىٰ لو رأيتها من خلف السور لا بأس علىٰ الراجع أن تسلم، لكن يكون إذا مررت بالقبور ورأيت القبور.

سؤال: نحن مرابطون في الحد الجنوبي منذ ثلاثة أعوام ولنا بعض الإخوة يجمعون ويقصرون الصلاة فما حكم ذلك؟

الجواب: هنيئًا لكم الرباط لحماية بلاد الحرمين، والله إنه لعمل شريف عظيم. وهل لكم أن تجمعوا أو تقصروا؟ الأمر لا يخلو من حالين:

الحالة الأولىٰ: أن لا تعلموا متىٰ ترجعون، أنتم مكلفون ولا تدرون، وأنتم مسافرون قادمون من بعيد، فلكم أن تقصروا ولكم أن تجمعوا حتىٰ ترجعوا، ولو استمر ذلك ثلاثة أشهر أو ستة أشهر. لكن الأفضل عدم الجمع؛ لأنكم نازلون. وقد استقرأنا سنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدنا أن الأغلب أنه إذا كان نازلًا لا يجمع. إذن هذه الحالة الأولىٰ أن أحدكم مكلف ولا يدري متىٰ يرجع، ممكن بعد يوم، وممكن بعد شهر، ما يدري. وعلىٰ هذا يُحمل عمل السلف في قصرهم إذا ذهبوا إلىٰ الثغور، فإن أحدهم قد يبقىٰ ستة أشهر يقصر لأنه لا يدري متىٰ يرجع.

الحالة الثانية: أن تدري متىٰ ترجع، كأن تكلف ثلاثة أشهر أو ستة أشهر، فأنت تعلم المدة، والمدة طويلة، فهنا ليس لك أن تقصر ولا أن تجمع؛ لأن هذا عند جماهير العلماء يقطع السفر، وهو الصواب.

سؤال: ما حكم أن يمنع محارمه من السلام علىٰ أرحامهم من الرضاعة بدافع الغيرة؟

الجواب: الرضاعة لا تخلو من حالين:

الحال الأولىٰ: أن تكون واضحة بينة ما فيها لبس ولا فيها شك، وهنا يعني يحرم من الرضاعة ما يحرم من النَّسَب، ولا تُمنع المرأة من السلام علىٰ مثلًا أخيها من الرضاعة.

الحال الثانية: أن يكون فيها شبهة، ليست واضحة، ليست بيّنة؛ فهنا للرجل أن يمنع امرأته من أجل الشبهة. ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الغلام الرجل عندما ألحقه بعبد بن زمعة فلما رأىٰ شبهه بأخ سعد بن وقاص قَالَ: «**واحتجبي عنه يا سودة**»، مع أنه ألحقه بعبد وقال هو لك يا عبد ابن زمعة، إذن صار أخًا له بحكم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذن هو أخ لسودة بالحكم، لكن لما قامت الشبهة وهو الشبه بعتبة أخ سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**واحتجبي عنه يا سودة**».

إذن هذه الأسباب إذا قامت الشبهة فيها فنعم للرجل أن يمنع محارمه من لقاء هؤلاء اَلرِّجَال. أما إذا لم تقم الشبهة بل الأسباب واضحة بين ثابتة فلا. طيب هل له أن يمنعها من السلام علىٰ أقارب الرحم؟ نقول نعم في حالة واحدة: إذا قامت الريبة، إذا كان هذا الرجل متساهل في الأعراض، يُرتاب فيه، يُخشىٰ منه بأسباب واضحة وليس شكوكًا، فنعم هنا له أن يحمي عرضه، وأن يمنعها من الخلوة به والسلام عليه. له مثلًا أن يقول لها ما تسلمين عليه إلا معي أو في حضوري أو نحو ذلك.

سؤال: كيف يخاف الشخص من الوقوع في المعاصي مع أن نصوص الرحمة في الكتاب والسنة كثيرة لا تجعل الشخص خائفًا من ذلك؟

الجواب: هذا الإرجاء بعينه، النصوص وعد ووعيد، الله غفور رحيم لكنه سريع العقاب شديد العقاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقلنا إن الإنسان يسير بجناحي الخوف والرجاء، يرجو ما عند الله من الرحمة ويخاف ما عند الله من العقاب. والعلماء يمثلون الأمر بالطائر، يقولون له رأس وجناحان؛ فرأسه المحبة وجناحاه الخوف والرجاء، فمن لم يطر بالخوف والرجاء لا يصل. نعم نرجو ما عند

الله من الرحمة وهذا يجعلنا لا نيأس من رحمة الله، لكننا نخاف وعيد الله وهذا يجعلنا لا نجرؤ علىٰ معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحثنا علىٰ التوبة إلىٰ الله من ذنوبنا.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يفقهنا جميعًا في دينه، وأن يجزي إخواني الذين حرصوا علىٰ إقامة هذا البرنامج. وأشكر إخواني أصحاب الفضيلة الذين شرفوني برؤياهم في هذه المنطقة الحبيبة إلىٰ قلبي.

كما أشكر إخواني طلبة العلم، والله والله إني أرىٰ طالب علم واحدًا علىٰ السنة فأفرح به أعظم من فرحي بالأموال، وإن طالب العلم يكون علىٰ السنة أعلم به أحبه ولو لم أعرف بعينه، وهذا شأن أهل السنة وَالْجَمَاعَة. فجزاكم الله خيرًا، وتقبل الله منكم، وزادكم الله همة، وزادكم ألفة ومحبة، وزادنا خيرًا وبركة في بلادنا، وزاد ولاة أمرنا حرصًا علىٰ الخير.

والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنَا وسلم.